الناجي الملعون

نوفل سنوسي

الناجي الملعون

نوفل سنوسي

الفصل الأول : بوابة ندم

بصراحة لا احب كثيرا الخروج و لا الاختلاط كثيرا بالناس بالرغم من أنني ذو أصدقاء و اجتماعي جدا ، لن اخفيكم سراً ، أنا هو من يسمى ب" الاجتماعي الانطوائي" لا تستغرب فليست الأمور دائما تسري كما نعرف و نريد ، فكل شيء في الحياة نسبي .

أحاول الا يزعجني أحد في عزلتي مع نفسي ، ان ابتعد عن البشر قدر الإمكان ، فليس في البشر سوى السلبية و الحديث الفارغ ، فالفائدة في الناس في هذا الزمن قليلة ، فليس كل من تجالس ذو نفع او إضافة لك ، جسديا نفسيا و حتى معرفيا .

في غالب وقتي ستجدني في مكتبتي الصغيرة في غرفتي لا افارق كتبي ، اسافر بين طيات الكتب و معاني الكلمات ، انا افضل العزلة و الابتعاد عن بني جلدتي ، قدر الإمكان .

الثامن من مارس عام 2017 .

- كعادتي اتمم قراءتي لأحد الكتب التاريخية الى ان جاءني اتصال مفاجئ لم يكن في الحسبان و يا ليته لم يأتي ابدا ، لأنه كان بداية اللعنة .

اجبت على المتصل فقد كان المعني هو صديقي عماد و جرى بيننا حديث كالتالي:

- أنا : " اهلا عماد كيف حالك "

- عماد : " الحمد لله ، و انت "

أنا : " الحمد لله على كل حال "

- عماد : " ما رأيك ان تلتحق بنا الى منزلي لنجتمع سويا "

- أنا: " هل حسام معك "

- عماد : " نعم انه معي الأن "

- أنا : " سألتحق بكم بعد قليل "

انتهى الإتصال و بصراحة انا في حيرة من أمري هل اذهب ام لا ، إن لم اذهب فقد كسرت كلامي مع صديقي و انا قد وافقت على الذهاب ، فكرت جيدا فقررت الذهاب لا شيء غير ذلك .

قبل الذهاب وجب علي ان اخذ شيئا في يداي ، كي لا اذهب و يداي فارغتين ، ليست إلا دقائق اذ بي امشي متجها لمنزل عماد ، لو علمت ما كان في انتظاري بعد ذلك ما ذهبت .

ليست إلا 10 دقائق إذ بي عند باب المنزل ، قرعت الجرس ففتح الباب و كأن عماد كان خلف الباب منتظرا لحظة قرعي للجرس ، تعانقنا بحرارة لأني لم أره منذ مدة ، بصراحة اشتقت له و للبقية .

ثواني معدودة اذ بهم يهتفون بإسمي ، قد يبدو لكم الأمر محرجا او غبيا ، ولكن بالعكس فعلاقتنا انا و الاصدقاء لن تجد اي مجموعة مثلنا أئكد لك ، لو انضم احد إلينا لهرب من يومه الاول ، او مرض بمرض نفسي ما ، لا تسالوني لما .

تسالمنا و امضينا ليلة رائعة جدا ، مرت كلها ضحك و تذكر لما عشناه في ما سبق ، لن اخفيكم سرا لم استطع مقاومة دموعي فحنين الماضي داهم مشاعري و أخرج لي ملفات الماضي مع اعز اصدقائي ، أيام خلت و يا ليتها تعود يوما و لو لحين .

فجأة ساد صمت غريب ، غير مألوف عندما نجتمع و نكون معا ، و يا ليتني لم اسمع ما قيل ، فجأة تكلم صديقي عماد

قائلا : " بصراحة لقد فكرنا في ان نقوم برحلة الى غابة غير بعيدة ، ان نمضي يومين من التخييم مع بعضنا ، و لذك طلبت منك المجيئ كي نتشاور معك ان كنت تريد الذهاب معنا " .

بصراحة استغرقت وقتا للتفكير لأني لم اعد كما السابق ، لم اعد احب الخرجات كثيرا ، فقد وجدت الراحة في انعزالي ، في وحدتي في كتبي ، فلم تعد هذه الحياة كما كانت ، و انا نفسي لم اعد نفس الشخص الذي كنت عليه من قبل .

العزلة ليست اختيارا من قرارة نفسك بل تفرضها عليك الظروف و التغيرات السارية في حياتك ، كذلك التغير الشخصي قرار انت من يتخذ زمام التحكم به ، ولكن في حالتي العكس تماما ، حتى لو اردت الشرح لن تستطيع فهمي ولا الشعور بما اشعر به في داخلي .

قطع تفكيري صوت صديقي حسام بأسلوبه الغاضب في الكلام لكنه طيب ، فقط اسلوبه في الحديث هكذا في هذه المواقف ، ليس غضبا حقيقيا بل ضحك في قالب غاضب

قائلا : " ألن تتكلم بسرعة و تقول لنا رأيك ، هل سنبقا اليوم بطوله هنا " .

بصراحة ضحكت من كلامه ليس استهزاء به كما ستظنون بل العكس تماما ، كما قلت حتا لو حاولتم فهم علاقتنا سيزيد استغرابكم و عدم فهمكم لها اكثر .

كان جوابي بالقبول ، و اتبعته بالسؤال عن اليوم و الساعة و كل التفاصيل التي قد أحتاج لها حينها ، كي اجهز نفسي تماما .

اجمع الإثنين على قول : " اخييرا وافق صاحبنا " ، و ضحكوا ، بصراحة انا ايضا ضحكت من قلبي ، ولكن للأسف فهذه الضحكة لن تدوم .

قال لي عماد الرحلة بعد يومين من اليوم ، في الساعة السادسة صباحاً ، اما المدة فهي يومان من التخييم في الغابة التي اخبرتك عنها ، اجبته بالإيجاب و الفهم ، سمعت صوت والدة عماد تناديه كي يذهب و يأخذ صحن الطعام منها كي نتناول العشاء ، فنحن في ضيافتهم الأن بصراحة فهم اهل الجود و الكرم ، كان الطعام لذيذا جدا و هذا معروف على ام عماد .

اكلنا و ضحكنا على افعالنا و ما مررنا به في صغرنا و ايام الدراسة ، بصراحة أيام رائعة جدا تمنيت لو تعاد يوما ، اتبعنا العشاء بكأس شاي بالنعناع ، ينعش القلب و يزيد الجلسة روعة و محبة .

تأخر الوقت و طلب صديقنا حسام المغادرة و انا بعده وقفنا عند الباب اكملنا ما انهيناه في الداخل ، صعب ان نفترق ، انهيت الحديث بالاستئذان بالرحيل جفني عيناي قد اقتربتا من الإطباق على بعضهم .

وصلت البيت حتا قفل الباب لم استطع تمييز مدخل المفتاح منه ، لحسن حظي ان اخي فتح الباب بعد ان شعر بي ، لم افكر في شيء غير سريري اتجهت مباشرة اليه ازلت ملابس الخروج ، و سقطت نائما كالميت ، كالذي لم يزر النوم عيناه منذ ايام .

استيقظت على صوت والدتي و هي تناديني للإفطار ، استيقظت بصعوبة بصراحة و كأني كنت في مباراة ملاكمة ، غسلت وجهي و لبست ثيابي و توجهت للصالة كي اشارك اهلي الفطور ، بصراحة كان لذيذا جدا طبعا هذا من يدي امي .

سألني ابي عن مخططاتي لليوم ، بصراحة لم تكن بالشيء المهم فقط روتين يعاد كل يوم ، عمل حر رياضة و قراءة كتب لا غير ، سيناريو يومي يعاد و يعاد كل يوم و كل لحظة متاهة أبدية ، أجبته بما قلت لكم و دعى معي بالتوفيق ، دعوة صباحية جميلة .

اكملت الفطور و نهضت لتغيير ملابسي و أخذ حاسوبي لأكمل العمل عليه في المقهى منها تغيير جو و منها عمل ، ليست الى دقائق و كنت هناك ، اخذت قهوة كعادتي و شرعت في اتمام عملي ، بصراحة تفاجئت برؤية عماد قادم نحوي ، سلمنا على بعضنا و جلس جانبي ، دار بيننا حوار عادي ، عن عملي و عمله و الدراسة كذلك ،

و قال : " لا تنسى امر الرحلة فقد سرعنا الفترة غدا سنذهب و قد أتيت خصيصا اليك كي اخبرك " .

بصراحة لم يعجبني الأمر ، لكن لم أرد ان اظهر ذلك له ، فمن الممكن ان ظرفا ما حتم ذلك لا يهم ، اكملت عملي ثلاث ساعات تقريبا من العمل الجاد ، و رجعت للمنزل ، كي ارتدي ملابس التدريب ، مر الوقت بسرعة اثناء الجري ، انا الان في المنزل كي استحم و اجهز نفسي للغد ، فإني لن اعود الا بعد يومين .

لن اخفيكم سرا بدأت افكر في الاعتزال الكامل عن البشر لا اعلم منزلا لوحدي لا ارى فيه احدا ، ان اختلي بكتبي و نفسي بأفكاري و طموحاتي ، ان اتوحد مع نفسي و اسبر اغوارها ، لم اعد اجد للغير فائدة في حياتي ، اود ان اذهب بلا عودة .

الفصل الثاني : بوابة للجحيم

اعلم ان حياتي مملة جدا ، انا ايضا أوافقكم الرأي و لا شك في ذلك ، لا احد يحب هذه النوعية من الحياة ، طالما حاولت أن أكون إنسان جيدا ، أن أبتعد و أهرب من تلك السوداوية في شخصيتي ، ذاك الفتى السيئ الخبيث المرعب اللطيف ، الجيد الطيب ، الشرير ، الغاضب البارد .

طالما أردت ان أكون إنسان عاديا كالجميع ككل من عرفناهم في حياتنا أقرباءنا و أصدقائنا ، ولكن لم استطع .

لا عليكم لا تلقوا لهذا بالا ، كل شيء جاهز الآن ، خيمتي و ملابس الغابة ، ليست بالشيء الكثير بل ما سأحتاج فقط ، اما الآن سأخرج لاقتناء بعض الحاجيات الضرورية و سأعود .

قضيت ساعتين في البحث عن المستلزمات اما الان فأنا جاهز ، فقد اتصلت بعماد لأتأكد من كل شيء ، كل شيء جاهز و محضر ، كل ما علي فعله الأن هو ان انام كي استطيع الاستيقاظ في الصباح الباكر نشيطا و مستعدا .

ليست إلا ساعة بعد نومي اذ بالكوابيس تباغتني ، كوابيس مخيفة جدا و كأنها إشارات ، لم افهم ما يحصل ، حاولت النوم مرة ثانية نفس الكوابيس ، كلما حاولت يتكرر نفس الكابوس لم استطع اكمال نومي بصراحة من هول المنظر .

مر الوقت سريعا اذ بالفجر اقترب و نهضت كي اتجهز فقد اقترب الموعد ، اتحرك كالسكير من قلة النوم ، لكن لا يهم ، جهزت كل شيء اذ بعد دقائق سمعت صوت منبه السيارة يتعالى كانت تلك سيارة عماد ، هو و حسام عند باب المنزل ينتظرونني .

حملت حقيبتي و كل ما جهزت و ادخلته في السيارة و انطلقنا ، قال لي عماد ان الغابة بعيدة حوالي الساعة بالسيارة و لكن المناظر فيها جميلة جدا لن تمل منها ابدا ، انطلقنا و طول الطريق و نحن نتشارك اطراف الحديث ، و حسام كل أنٍ و اخر يسأل إن كنا قد اقتربنا ، لن اخفيكم سرا فمنظر الشروق رائع جدا مع بداية تباين أول خيوط اشعة الشمس الذهبية .

بدأنا ندخل في طريق جبلية نوعا ما ، عزلة تامة لا أحد يظهر لنا غير السيارة خاصتنا و كأنها غابة مهجورة ، لكن من يهتم فهذا ما احب رغم ان الارتياب بدأ ينتابني من هذا كله بسبب كوابيس الامس ، لم أبدي ذلك لصديقي كي لا أفسد الفرحة التي تغمرهم .

الفصل الثالث : قُربان

ها قد وصلنا بعد ساعة من السفر ، بصراحة كانت تلك الغابة تماما كما وصفها لي عماد ، اعجبتني جدا ، خصوصا مع إطلالة الصباح زادتها رونقا و جمالا ، كسر ذهولي صوت حسام و هو يقف واضعا كلتا يديه على خصره ، قائلا :

حسام : " ألن تنتهي من نظراتك تلك وتساعدنا في تجهيز المخيم بسرعة " .

أنا : " ها أنا ذا قادم ، اصبر قليلا فلا يزال لدينا اليوم بطوله " .

حسام : " و إن كان طويلا ، بسرعة يا صاحبي كي ننتهي بسرعة " .

أنا : " ها انا ذا سأذهب لإحضار الحطب لن اتأخر " .

حسام : " لا تتأخر ان تهت اتصل بنا او ارسل موقعك " .

أنا : " حسنا سأفعل ، ها انا ذا ذاهب " .

انهيت كلامي و دخلت لداخل الغابة كي اتوغل فيها و ابحث عن حطب غليظ كي لا يحترق و ينتهي بسرعة ، بصراحة الغابة في داخلها مخيفة جدا ، انا لا أبالغ ولكن هذه هي الحقيقة لو كنتم مكاني لرأيتم ما رأيت .

مهلا أشعر ان احدا ما يراقبني من بعيد ، لا امزح بل هذا ما اشعر به و احساسي لا يكذب ابدا ، تصنعت عدم شعوري بشيء ولكن الحذر لم يفارقني فأنا داخل غابة شبه مهجورة فكل شيء متوقع .

رجعت للمخيم و انا محمل بالحطب الجيد كي يكفينا لليلة و لا ينطفئ بسرعة ، حل الليل بسرعة و لم نشعر بسبب تجهيزنا للمخيم ، جلسنا و صارحت ،

صديقي بما حصل معي ، بصراحة ندمت ، لأني اعرف انهم سيضحكون علي ظنا منهم اني جبان او شيء من هذا القبيل ، فعلا ذلك ما حدث بالتفصيل ولكن لا يهم على الاقل اخرجت ما بداخلي و حذرتهم .

مرت الليلة رائعة بصراحة و دخل كل منا لخيمته لينام كي نستكشف الغابة صباحا ، مرت حوالي الساعة اذ بحسام يوقظنا و وجه شاحب فاقد للونه كأن الدم لم يعد فيه ، حاولنا تهدئته بشتى الطرق ولكن لا شيء نفع معه فهو الأن في حالة صدمة ، صفعه عماد على وجهه و نجحت محاولته في تهدئته .

تكلم حسام بكلمات متقطعة لم نستطع فهمها : " ذذذذذ ذبببحها ، ق ق ق ق قتلها " ، بصراحة لم نستطع الوصول لدرجة كافية من الفهم ، من قتل من و من هذه اصلا ، ما الذي حدث من الأساس و ما الذي رأه حسام ، الاف الأسئلة تدور في ذهني لم اجد لها جوابا شافيا .

بعد مدة من تهدئته اخيرا استطعنا ذلك ، و طرحت عليه عدة اسئلة كي استفسر عما حدث و كان جوابه صادما و غير متوقع .

أنا : " الأن قل لي ما الذي رأيته ، تنفس بعمق ، و أجبني على سؤالي " .

حسام :" بعد ان خلدنا للنوم اضطررت للخروج للخلاء لقضاء حاجتي " .

توقف عند هذا الحد فسألته ثانية .

أنا : " تنفس و لا تخف انت في مأمن الأن ، اكمل سرد ما رأيته " .

حسام : " حسنا توغلت في الغابة قصد ان اتمشى قليلا بعد ان فرغت من ما كنت اريد فعله ، وجدت نارا كبيرة استغربت وجودها هنا ، اختلست النظر لكي اعرف ما حصل دون ان يراني احد ما ، اذ بي اجد رجلا امام النار يقوم بطقوس تبدو للعيان انها شعوذة و توسلات شيطانية ، فجأة رأيت فتاة صغيرة مقيدة بجانه ، تحاول التحرر ، لم اراها في البداية وضعها فوق صخرة و قام بذبحها بوحشية حتا الحيوانات لن تستطيع فعل ذلك ، امسكت نفسي بصعوبة بالغة كي لا اصدر اي صوت فقد غطيت فمي بيدي " .

أنا : " يبدو انه من كبار السحرة ، اكمل يا حسام " .

حسام : " حاولت كتم نفسي بصعوبة بالغة مزقها بوحشية كأنه وحش لا اظنه بشريا من الاساس ، يكمل ما يفعل و يتمتم بكلمات بلغة غير مألوفة لي ، احيانا بصوت خافت و احيانا بصوت عالي ، و هو يكمل اقتلاع اعضاء المسكينة و يلقيها في النار و ترتفع النار بشكل كبير ، حتى فرغها و قطع رأسها كلها ، اردت ان اتصرف ولكن خفت ان القى نفس مصيرها ، فركضت بأقصى ما لدي من سرعة كي اصل اليكم " .

حسام :" يجب ان نذهب من هنا بسرعة كي لا نلقى نفس مصيرها " .

الفصل الرابع : أتيت بنفسك للهلاك

فكر الإثنان و النجاة بجلدهم فما نتعامل معه الأن يبدو من كبار السحرة ، فالتعامل معه انتحار مباشر ، فكان قراري كالتالي :

أنا : " لا لن اذهب من هنا ، ان اردتم الذهاب فذهبوا بدوني ، دعوني انهي حياة هذا الوحش كي لا يأذي الأبرياء مرة اخرى ، ان اردتم الرحيل يمكن ذلك " .

لن اصمت اكثر ، تذكرون حينما قلت لكم ان الكوابيس لم تدعني أنام ، كان هذا نفس الكابوس الذي لم يفارقني الليلة الماضية بكل تفاصيله ، كيف حصل هذا لا اعلم ، انا بنفسي لا اعلم كيف و لماذا ، سأعتبر هذا اشارة ، و سأقوم بواجبي .

فكرو مليا و الخوف يراودهم بشدة ، لكن قرروا البقاء و مساعدتي ، لم أتوقع ذلك بصراحة ففي هذا تهديد مباشر لحياتهم ، امسكت بفأس حاد كنت قد احضرته للحماية و تقطيع الخشب ، اما حسام فقد امسك سكينا طويلا و عماد عصى خشبية قوية ، دخلنا الغابة خلف حسام كي يرينا المكان المقصود ، محاولين عدم اصدار اي صوت اي كان صغيرا لتجنب اي لفت انتباه لنا .

لم نتمشى كثيرا اذ بنا نشعر ان هنالك من يراقبنا من بعيد لست انا الوحيد بل كان شعورا متبادلا ، تأكدنا و لكن لم نجد احدا ، فأكملنا مسيرنا ولكن .

وجدنا الساحر في نفس المكان ملطخا بدماء الفتاة و بعض اعضاءها لا تزال في يديه و هي مفرغة و مقطعة لقطع امام النار و باقي اشلاءها مرمية على الارض بشكل عشوائي بجانب الشموع السوداء في قلب دوائر و نجوم مرسومة على الارض و دمائها في دلو اسود ، حتى لو اردت ان اصف لكم المشهد لن استطيع من قبحه و فظاعته ، كدت ان اتقيئ من ما يوجد أمامي ، فجأة تغير كل شيء في رمشة عين .

استأنف الساحر قراءة طلاسمه اللعينة ، ولكن فجأة التف بسرعة و قد رأني بوضوح لم نفهم كيف ، ولكن لقد رأنا اتجه نحونا

قائلا :" ما كان عليكم ان تأتوا الى هنا ، فقد حفرتم قبوركم بأيديكم ، و قد حان موعد موتكم " .

هاجمه حسام و هو يصرخ بأعلى صوته : " مت ايها المشعوذ اللعين و أرح العالم من شرك " ، محاولا اصابته بالسكين التي في يديه ، فجأة نطق الساحر بكلام غير مفهوم , اذ كلنا جمدنا في مكاننا ، شعرت حينها كأن شيئا ضخمة الجثة اطبق علي و منعني من الحراك .

حاولت الكلام لكن لم استطع فقط اشاهد ، اذ بذلك القذر يقول

الساحر : " اتعلم يا فتى البشر فضوليون جدا و فضولهم هذا يأدي بهم للهلاك دائما ، احيانا يجب عليك الا تتسرع في اتخاذ قراراتك و اظهار شجاعتك .

احيانا الجبن يكون افضل من الشجاعة ، كي لا تتجه بقدميك لهلاكك كما فعلت انت و حسام و عماد ، فقد ساقكم تهوركم لترو و تعرفوا اشياء لم يكن يجب عليكم معرفتها ابدا ، قد تستغرب كيف عرفت اسميكما ، اعلم تاريخكم من يوم ولدتم للحظة التي انتم هنا أمامي ، اعرف كل تفاصيل

حياتكما ، فقد اخبرني قرين كل منكم كل شيء ، لن يكون موتكم مؤلما كتلك الفتاة ، لا تخافوا لأنكم لن تشعروا بشيء " .

بصراحة صدمت من كلامه كيف له ان يعرف اسماءنا و عن اي قرائن يتحدث ، ليست إلا ثواني معدودة إذ به يمسك السكين الذي كان بحوزتنا و طعن به عماد اكثر من مرة وسط صراخه و الدماء التي تخرج منه ، كذلك الامر مع حسام ، و انا احاول ان اتخلص من ما يمسكني و اصرخ كي يتركهما ، لكن لا فائدة فقد مات كلاهما ، بكيت و صرخت بهستيريا لدرجة ان صوتي قد انقطع و احبالي الصوتية كذلك ، فقدت الامل في الحياة حينها انتظرت دوري ولكن .

اقترب القذر صوبي و انا متأكد انه سيقتلني كما فعل مع اعز اصدقائي ، لكن الغريب في الأمر هو ما قاله لي ، ولكن انا لم استطع اجابته .

الساحر : " لن اقتلك لا تقلق بل سأجعلك تتمنى الموت و لن تجده ، سأجعلك تندم على جرأتك الزائدة و شجاعة الاغبياء هذه التي فيك ، سألعنك بلعنة ابدية من اقوى انواع اللعنات السفلية ، ستتمنى الموت ولكن لن تجده ، ستظل وحشا من وحوش هذه الغابة و لن تغادرها يوما الى نهاية حياتك ، سأجعلك الناجي الوحيد ، يا ايها الناجي الملعون " .

مرت امام عينا كل مشاهد حياتي ، عائلتي لصدقائي كل من احب ، نفسي ، فقدت كل شيء الأن وداعا ايها العالم .

اكمل كلامه و أشار بحركة من يده ، اذ بجثث اصدقائي تتحول الى اشلاء متناثرة في كل الارجاء ، و لطخت بدمائهم ، اخرج كتابا من العدم ، و بدأ في قراءة طلاسم غريبة ، اذ بي اشعر انني أصبحت اكثر حرارة و اشعر بجسدي يتغير كلما ازداد قراءة بصوت عالي الى ان مسخت و انا لا

استطيع فعل شيء ، لم اعد بشريا بل اصبحت مسخا ، وحشا شيطانا كل الصفات لن توصل لك مظهري ، اصبحت ألتوي في مكاني من الألم المخلوط بالخوف و اليأس و تمني الموت ، فقد فقدت انسانيتي ، كل شيء انا الأن وحش مسخ ، اصبحت الناجٍي الملعون ...

تمت .